

في الذكرى الثلاثين لغياب صاحب- القلم الصريح

” الفرد ابو سمرا..المقاوم الأول.



إذا كان لكل زمن رجاله، فلكل رجل قلمه، وكما السياسة هي رجل يدير دفتها وتقلباتها، كذلك فالصحافة هي رجل يقود اتجاهاتها ومواقفها.

ولبنان البلد الصغير في سياسته ، كبير في مزاياه وتنوعه، إن لجهة طبيعته ومكوناتها، أو لجهة تاريخه الممتد عبر العصور ، حيث ذكر في التوراة والإنجيل، مرات ومرات وتناوله كبار المؤرخين من مكتشفين ورحالة ومستشرقين ، وكتبوا عنه بأدق التفاصيل: تفاصيل تناولت حياة من سطر إنجازاته، لتكون شاهدة حيّة على إحدائه بقديمها وجديدها.

لبنان الثقافة والعلم والمعرفة، لم يكن صدفة جغرافية ، بل كان ضرورة إنسانية فرضها موقعه بين الشرق والغرب ، وإطلالة ذلك الموقع على بحر ابيض متوسط هو مهد الحضارات وتفرعاتها. لبنان الكلمة الحرة ولد مع ولادة الحرية، وكان عبر صوته اميناً عليها متفهماً لمعانيتها، انطلاقاً من صحف خرجت منه وطبعت بأخلاقه وعفويته، بدءاً من أول جريدة حملت اسمه حتى أواخر القرن السابع عشر.

كثيرة هي الصحف التي سبقت بيروت ودمشق والقاهرة ، وكان لها التأثير الفعال على مجريات الأمور في مختلف مفاصل الظروف المحلية والعربية. صحف لبنانية الطابع. لبنانية الهوى. لبنانية الهوية.

استطاعت بكفاءة القيميين عليها ان تحقق بإمكانات قليلة خطوات كثيرة تجاوزت مواقع صدورها من قرى وبلدات جبلية وسهلية، وخرجت إلى العالم الواسع لتحاكي أبناءها في الانتشار، وتشد وجهتهم للاهتمام بشؤون وشجون وطن الأباء والأجداد ، بهدف مؤازرته والدفاع عن كبرياء تاريخه عند المحن، وقد نجحت في ما تصبو إليه، وكانت جسراً

حيوياً بين شطري لبنان المقيم ولبنان المغترب، ونقطة الشفاء وتواصل ذات فوائد جمّة.

لهذا الكلام مناسبة أردناها مقدمة للذكرى الثلاثين على غياب صحافي كبير، استشهد بصراحة قلمه، فكان له "القلم الصريح" جريدة جنوبية تميزت عن غيرها من جرائد زمانها بتواضع صاحبها، ومستوى علمه، وقوة حجته، وتجرد رأيه، ودقة تحليله، وتنوع استشرافاته، وكثرة أسفاره، واستمرارية متابعاته، ووضوح اندفاعه القومي والوطني، والحرص على خدمة أمنه والشجاعة في قول الحق، مع كل ما في ذلك من مخاطر وتبعات.

انه الفرد ابو سمرا وأبو طارق وابن مرجعيون، هذه البلدة الجنوبية التي كان اسمها ايام الإمبراطورية البيزنطية وقيصرية فيليبس، فأخذ من الاسم العزم على ان لا يكون كغيره من أبناء جيله لان الله وهبه شخصية كانت موضع تنويه وإعجاب عارفيه وقرائه.

ناضل بسلاح الكلمة، وخاض مواجهات مع الانتداب الفرنسي، وتحدى مخططاته. وكشف عن أهدافه ودعا إلى الكفّ عن الأعباء لتوتير المجتمع وتحقيق مصالحه، ما جرّ عليه الكثير من المتاعب. صادق رياض الصلح ورافقه في مؤتمرات تأسيسية، وكان إلى جانبه في معركة استقلال لبنان وفي اللقاءات والتجمعات المحلية والإقليمية التي سبقت تلك المعركة وشلتها.

كان الفرد أبو سمرا عالماً بخفايا مؤتمر فرساي، بعد سقوط الإمبراطورية العثمانية وتقاسيمها، وبخلفيات معاهد سايكس – بيكو وبأبعاد وعد بلفور في وطن قوي لليهود على حساب فلسطين.

حذر من المد الصهيوني على المنطقة العربية قبل الإعلان عن إنشاء دولة إسرائيل ، ودق ناقوس الخطر في وجه ما تعدّه تلك الدولة للبنان مجدداً ومعدداً أطماعها المكبوتة والمعلنة في أرضه وفي مياهه وذلك بافتتاحيات منطقية ومقالات موضوعية وتحقيقات واقعية.

احتلت الحيز الأكبر من صفحات "القلم الصريح" على مدى سنوات وسنوات ، وشكّلت سبب نجاحها وانتشارها وإقبال المثقفين على الكتابة فيها.

استطاع الفرد أبو سمرا من خلال إدراكه بان يجول في العقل الصهيوني ان يقول ما لم يسبقه اليه احد من أقرانه في التنبيه والتحذير ، ولا عجب لمن يدقق في كتاباته ، ان يلمس بصريح العبارة دعوته إلى مواجهة الخطر الإسرائيلي على لبنان بمقاومته وتحديّه ، لا بالتهرب منه والتعتميم عليه ، فاستحق لقب المقاوم الاول، آنذاك، قبل ان تظهر المقاومة كما هي اليوم.

التقى الفرد ابو سمرا في محاور ايامه العديد من الزعماء العرب والأجانب وتشاور معهم ، وكتب عنهم وعن النقاشات التي دارت بينهم وكان حين كل ما فعل مثلاً ومثالاً للرجل الحكيم المسؤول الذي لا هم لشغله سوى حماية وطنه وتراثه وعروبته، حماية حقيقية لا لفّ فيها ولا منفعة ولا دوران، من واقع انتمائه ووطنيته وتربيته.

وفي الذكرى الثلاثين لغيابه ، لا بد من الاعتراف والقول ان الفرد ابو سمرا لم يكن صحافياً فحسب، وان " القلم الصريح" لم تكن جريدة فقط بل كان هو الوجه والمرشد والمعلم على طريق شاءها للحق وللخير وللجمال ، وكانت هي مرجعاً جامعياً شاملاً في مرحلة مهددة من تاريخ لبنان كياناً وإنساناً.

فحبذا لو يتعرّف هذا الجيل، جيل الكومبيوتر والانترنت على ذلك الكنز
الوطني فيرتبط حاضر مهزوز بماضٍ ثابت يسهّل النظر الى مستقبل
واعد، والعمل على الوصول اليه.

الفرد ابو سمرا عملاق من مرجعيون، زامل عمالقة زمانه من لبنانيين
وعرب فأين لنا من تلك الايام المضيئة.

وأين له من هذه الايام المظلمة، غير ذلك الأمل الآتي من الجنوب
الصامد في وجه الاحتلال والعدوان تمهيداً لإكمال مسيرة التحرر
والتحريير .

ابو طارق " ما قلته قد قلته " فسلام لك، وسلام عليك في ذراك
ذكرى رحيلك عنا.
وذكرى بقائك فينا!